تحقيق لغوي

في مادة (تلمذ)

بقلم عبد المعموم محمد هارون

لعلَّ كلمة « تلميذ » من أكثر الكلمات دوراناً في دور العلم ومعاهد الدراسة، وهي من الكلمات التاريخية التي دخلت في أطوار مختلفة من الدلالة حتى استقرت الآن في معنى طالب العلم. بيد أن تأصيل هذه الكلمة وبيان مشتقاتها وجموعها يحتاج إلى توضيح وتوقيف. وقد كنت قديماً عزمت أن أكتب فيها تحقيقاً شاملاً، ولكني وجدت رسالة البغدادي في هذا التحقيق من أوفى ما كتب في هذه الناحية، فآثرت أن أجعلها تحفة للأدباء من قراء « المقتطف » تعميماً عن التطلع إلى ما وراءها.

والبغدادي هو عبد القادر بن عمر البغدادي، صاحب خزانة الأدب، المولود في بغداد سنة ١٠٣٠ والمتوفى بمصر سنة ١٠٩٣

ورسالته تلك التي ننشرها، منها نسخة بالخزانة التيمورية، وثلاث أخرى بخزانة دار الكتب المصرية، إحداها برقم ٦ مجاميع ش والثانية برقم ١٨١ مجاميع، والثالثة برقم ١٢٢ مجاميع. وقد قابلت النسخ الثلاث الأخيرة بعضها ببعض، ورمزت إليها بالرموز أ، ب، حـ على ترتيبها. وأصح هذه النسخ وأكملها نسخة ب. وكل ما أثبته بين علامتي الزيادة فهو منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

[أما بعد] فهذه كلمات ذكرتها لمعنى التلميذ، فإني لم أجد هذه الكلمة مذكورة في كتب اللغة المتداولة، المدوَّنة [لبيان] الجليل والحقير، وذكر النقير والقِطْمير، كالجمهرة لابن دريد، والصحاح للجوهري، والمحكم لابن سيده، واللباب للصاغاني، والقاموس

لمجد الدين الفيروزابادي ، وغيرها ، إلاّ في لسان العرب لابن مكرم ، فإنه أورده في مادة (تلمذ) وقال : « التلاميذ الخدم والأتباع ، وأحدهم تلميذ » مع أنها كلمة متداولة بين العام والخاص . وكثيرة الاستعمال في تآليف العلماء الأعلام .

وكان الباعث لهذا أني لما قرأت كتاب معني اللبيب ، ووصلت إلى قوله في الباب الخامس «حكى لي أن بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذ له بيت الفصل » [1] رأيت شارحه الفاضل إبراهيم بن اللاّ الحلبي [2] قال : « التلميذ القارئ على الشيخ . ولم أقف عليه في شيء من كتب اللغة المتداولة كالصحاح والقاموس وغيرهما » . اهـ

فحينئذٍ تلبعت بطون الدفاتر ، من مصنفات الأوائل والأواخر ، حتى رأيته في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، فإنه ساق [3] فيه شعراً للبيد بن ربيعة العامري الصحابي ، وفيه هذا البيت :

فالماء يجلو متونهنّ كما يجلو التلاميذ لؤلؤاً قشبا [4]

وقال بعد إنشاد الأبيات : « التلاميذ غلمان الصنّاع . والقَشِب والقشيب الجديد . والجمع القشب »

ورأيته أيضاً في شعر أمية بن أبي الصلت ، وهو شاعر أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم ولم يوفق للإيمان به . وغالب شعره في الوعظ وتذكير الآخرة وقصص الأنبياء ، وهو مما لا يكاد يقضي العجب منه . قال في قصيدة :

والأرض معقلنا وكانت أمّنا فيها مقامتنا وفيها نولدُ
وبها تلاميذ على قدماتها حبسوا قياماً كالقرائص تُرعَدُ [5]

قال شارح ديوانه : « التلاميذ الخدم ، يعني الملائكة » .

وقال أيضاً في قصيدة أخرى

صاغ السماء فلم يخفض مواضعها لم يفتقص طلَب جهول ولا هرمُ
لا كشّفت مرة عنا ولا بلبت فيها تلاميذ في أقفائهم دعمُ

---

(١) الفصل المختصري في النحو . انظر شرح ابن يعيش (٢ : ٩٤) . والبيت هو :

لا يبعد الله الثلاثين والمئا وإن إذا قال الخليس : نعم

(٢) هو إبراهيم بن اللاّ محمد الحلبي المتوفى سنة ١٠٧٩ ذكره في كشف الظنون . وفي ا ، حـ : «حلي» وضع : « الحلي » تحريف .

(٣) ا ، حـ : « ساق » والصواب في ب .

(٤) البيت في ديوانه ص ١٤١ بشرح الطوسي . وفيه : « التلاميذ غلمان الصاغة ... التلاميذ فارسي » .

(٥) القرائص : جمع قرصة ، بالضم ، وهي الناقة .

وقال شارحه هنا أيضاً كذلك .

ورأيت في المقامة الأولى من المقامات الحريرية قوله : « فوجدته حاذياً لتلميذ ، على خبز حميذ ، وجدي حنيذ ، وقبالتهما خابية نبيذ[1] » . قال شارحه الشريشي : « التلميذ متعلم الصنعة ، والتليذ الخادم ، والجميع التلاميذ » . وأنشد بيت لبيد المتقدم ، ثم قال : « وطلبة العلم تلاميذ شيخهم » . اه

وإهمال داله لغة فيه ، قال أمية بن أبي الصلت في القصيدة الدالية التي تقدم إنشاد بيتين منها :

قضى وأصعد واستبدّ إقامةً بأول قرّى فبتّل ومُتلمَذُ

قال شارحه : « يريد متلمَذ ، أي خادم من التلاميذ . وتُليذ جُعل للخدمة . ويروى متليد بكسر الميم . وأراد بأول قرى الملائكة الذين يحملون العرش . وقوله : قضى يعني الله عزّ وجل . واستبدّ ، يعني لا يستشير أحداً . يقال استبدّ فلان برأيه إذا لم يستعن أحداً على ما يريد . والمبتّل المفرد » . انتهى .

ويؤخذ منه أن تاءه أصلية . ووزن تليذ فعّليل ، وأن له فعلاً متصرفاً هو تلمذه كدحرجه ، بمعنى خدمه ، يتلمذه كيدحرجه ، تلمذة وتلماذا ، كدَحْرَجَةً ودَحْراجاً ، فهو متلمذ كمُدَحْرِج بمعنى خادم ، وذاك متلمَذ أي جعل خادماً[2] . وإطلاق التلميذ على المتعلم صنعة أو قراءة ، لأنه في الغالب يخدم أستاذه .

وقول الناس : « تلمَّذله » و « تلمَّذ منه » بتشديد الميم ، خطأ ، لأنهم توهموا أن الياء زائدة ، وليس كذلك ، وصوابه « تلمَذ له » و « تلمذ منه[3] » بالذال المشالة المعجمة .

ولمَّظه أي أطعمه وأذاقه . والتلمظ : تتبع اللسان بقية الطعام في الفم . وقد يكنى به عن الأكل ، استعير للتعليم شيئاً فشيئاً .

والتليذ يجمع على تلاميذ ، فإنّ فعّليلاً يجمع على فَعَالِيل ، كبرطيل وبراطيل ، وعفريت وعفاريت ، وقنديل وقناديل ، وإصليت وإصاليت ، وإبريق وأباريق ، وميشديل ومناديل .

---

(١) هذا سهو من البغدادي ، فإن الشريشي في هذا الموضع لم يقل إلا : « تليذ : متعلم الصنعة » انظر الشريشي (١ : ٢٩ س ١) وأما الكلام الذي نقله البغدادي بعد فهو تعليق على قول ابن الحريري : « فالتفت إلى تليذه وقلت عزمت عليك بمن ليستدعي به الأذى لتخبرني من ذا » انظر الشريشي (١ : ١٣٠) .

(٢) الأولى من تلمذه بمعنى خدمه ، والأخيرة من التلمذ أي جعله خادماً .

(٣) هذه فتوى لغوية للبغدادي ولم يستعمل هذا التعبير ، ولا أظنه سائغاً .

وأما قولهم في جمعه « تلامذة » فعلى توهم أنه اسم أعجمي [١] ، فإن الهاء في الجمع تكون في أحد ثلاثة مواضع : (أحدها) الاسم الأعجمي المعرب ، سواء كانت للتعويض عن مدّه [٢] نحو أستاذ وأساتذة ، أم لا نحو موزج وموازجة وكيلجه وكيالجة . (ثانيها) للتعويض عن ياء النسب في المفرد ، نحو أشعثي وأشاعثة ، ومهلبي ومهالبة ، وأزرقي وأزارقة (ثالثها) للتعويض [إما] عن ألف خامسة جوازاً نحو حنطي وحبانطة ، وعفرني وعفارنة وإما عن [عين] [٣] مضاعفة نحو جبار وجبابرة . وفي غير هذه المواضع الثلاثة قليل نادر كفحولة وحجارة .

قيل [٤] : وقد يرخم التلاميذ في الشعر على تلام ، كقول الطرماح :

تتقى الشمس بمدرية كالخاليج بأيدي التلام

والخاليج : منافخ الصاغة الطوال ، واحدها خلوج ، شبه قرن البقرة الوحشية بها .

قال الجواليقي في المعرّبات [٥] : « التلام أعجمي [٦] معرب ، قيل هم الصاغة ، وقيل غلمان الصاغة ، وقيل هم التلاميذ » وأنشد هذا البيت .

وأنشد ابن بري في حاشية الصحاح قول غيلان بن سلمة الثقفي [٧] أيضاً :

وسربال مضاعفة دلاص قد أحرز نسجها صُنعُ التلام

وروى : « التلام » في البيتين بفتح التاء وكسرها . أما الفتح فعلى أنه مرخم التلاميذ ضرورة . وقد اقتصر عليه صاحب الصحاح ، وقال : « التلام التلاميذ سقطت منه الذال » .

وصاحب الصحاح تابع في هذا لأبي علي ، قال في المسائل العسكرية [٨] : « ومن قبيح الضرورة قول الشاعر :

مثل الخاليج بأيدي التلام

قالوا : يريد التلامذة ، فحذف . وقد أعلمتك أن ذلك لا يكون على الترخيم فيما تقدم . إلاّ أنه قد جاء من هذا النحو ما لا يكون في الترخيم كقوله [٩] :

دَرَسَ المَنَا بمتالع فأبانِ

---

(١) أكان البغدادي يذهب إلى أنه عربي (٢) ا ، حـ : « مدة » (٣) كذا في « عين » في ا ، حـ لكن جعل فوقها خطأ علامة على الخطأ . وإثباتها عين الصواب كما في ب .

(٤) ا ، ب ، حـ : « قيل » وذلك على أنها متصلة بكلمة « مجاورة » ، لوجه ما أثبت ، ولكنه يفهم من السياق . (٥) المعرب للجواليقي طبع دار الكتب ص ٩١ (٦) ا ، حـ : « قيل معرب » وكذا « قيل » بخطه (٧) شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . ترجمته في الإصابة ٦٩١٨ والأغاني (١٢ : ٣٠ — ٣٤) (٨) المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي النحوي سنة ٣٧٧ . نقل عنه البغدادي نصوصاً فيما يواليه شتى من الخزانة . انظر ١ : ٩٠ ، ٩١ ؛ ٢ : ٦٢ ، ٢٧٥ ؛ ٤ : ٥٢٣ ، ٥٢٤ ؛ ٣ : ٣٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٥٨٢ ؛ ٤ : ١٤ . ا ، حـ : « مسائل العسكرية » تحريف .

(٩) هو لبيد بن ربيعة . والبيت مطلع قصيدة له في ديوانه ص ٦١ طبع فينا سنة ١٨٨٠

قالوا : يريد : المنازل . ومثل ذلك ما أنشدوه لأبي دُواد [١] الإيادي :

فكأنما تَذكي سنابكها حُبَا [٢]

قيل يريد الحباحب ، أي نار الحباحب . وفي التنزيل : فالموريات قدحاً » انتهى كلامه

وأما الكسر فعلى أنه جمع « تلم » بكسر فسكون ، بمعنى الغلام . قال ابن مكرم [٣] : فمن [٤] رواه : التلامي ، بفتح التاء وإثبات الياء ، أراد التلاميذ ، يعني تلاميذ الصاغة . هكذا رواه أبو عمرو ، وقال : حذف الذال من آخرها [٥] ومن رواه : التلام ، بكسر التاء ، فإن أبا سعيد قال : التلم الغلام . قال : وكل غلام تلم ، تليداً كان أو غير تليد . والجميع [٦] التلام . وقال ابن الأعرابي : التلام الصاغة ، والتلام الأكرة » . انتهى

وأقول : « الصاغة » تصحيف من الصناع [٧] لوقوعه في صحبه الحاليج : ويدفعه البيت الثاني [٨] .

وقال صاحب القاموس : « التلم ، بالكسر : الغلام ، والأكّار ، والصائغ أو منفخهُ ، الطويل [٩] . والجمع تلام . وكسحاب : التلاميذ ، حذفت ذاله . ولم يذكر الجوهري غيرها ، وليس من هذه المادة [و] إنما هو من باب الذال » . انتهى

أقول : أما قوله : « الأكار والصائغ » فقد أخذه من قول ابن الأعرابي ، على أن الصاغة والأكرة بالتحريك جمع صائغ وأكّار .

وأما قوله : « أو منفخه [١٠] » فقد أخذه من قول بعضهم ، وقد غلط فيه .

نقل الأزهري عن الليث أن بعضهم قال : التلام الحاليج التي ينفخ بها . قال : وهذا باطل [١١]

والعجب من صاحب القاموس ، أنه اعترض على صاحب الصحاح في ذكره التلام في باب الميم ، مع أنه أثبته مثله ، ولم يذكره في باب الذال .

عبد السلام محمد هارون

---

(١) في ، حـ : « أبو دؤاد » بالهمز (٢) روي البيت في اللسان (١١ : ٢٨٨) هكذا :

يقدمن جندل جائر جنوبها فكأنها تذكي سنابكها الحبا

(٣) في لسان العرب مادة (تلم) (٤) في الأصل : « ومن » وصواب النص من اللسان .

(٥) أسقط البغدادي هنا قول ابن منظور : « كقول الآخر :

لما تأوبر من لحم تشره من الشمالي وخز من أرانبها

زاد من الذال » ومن أرانبها » وهذا البيت لابن كامل البشكري كما في اللسان (٥ : ١٦١)

(٦) في الأصل : « والجمع » وأثبت ما في اللسان .

(٧) حـ فقط : « في الصنع » (٨) يشير الى بيت غيلان بن سلمة . | ، حـ « في » بكان : « ويدفعه » سقط ٩ | ، حـ « والصائغ » بالنون و « منفخة الطويل » صوابهما ما أثبت من ب . (١٠ | ، حـ : « أو منفخة » تحرف . ١١ | في اللسان : « قال ابن منصور — وهو الأزهري — قال الليث : إن بعضهم قال : التلاميذ الحاليج التي ينفخ بها . قال : وهذا باطل ما قاله أحد » .